An analytical study on wall painting adaptation to physical and architectural environment of asir province at the end of ottoman empire
دراسة تحليلية لتوائم فن نقش الجدار مع البيئة الطبيعية والإنشائية المعمارية بمنطقة عسير في أواخر حكم الدولة العثمانية

د. إيمان أحمد عارف
مدرس بقسم تاريخ الفن – كلية الفنون الجميلة – جامعة حلوان - القاهرة - مصر

ملخص البحث Abstract:
يعد فن صباغة وزخرفة الجدار من الفنون التراثية التي تعكس ثقافة المجتمع وعقيدته وحضارته. انتشرت الرسوم الجدارية التي تصبغ جدران العمائر التقليدية من الداخل والخارج في معظم قري العالم القديم وبخاصة بين القبائل منذ بداية العصور البدائية (فن الكهوف) الي يومنا هذا، وبدخول الاسلام لبعض من هذه المناطق اختلطت تلك الفنون بالقيم والتعاليم الاسلامية مما نتج عنها وحدات وعناصر متميزة. انفردت تكسيات جدران بيوت منطقة تهامة عسير وبخاصة (قرية رجال المع) بجنوب غرب المملكة العربية السعودية بزخارف نباتية وهندسية زاهية اللون فبدت من تغطيتها للمسطحات الجدارية سواء الداخلية او الخارجية من أسقف وأرضيات وجدران وملحقات معمارية اخري كانها تحاكي جنات عدن كما ذكرت في القرآن الكريم، متأثرة ببيائتها الجغرافية الغنية بالنباتات والأشجار وأختلاف تضاريسها الجغرافية مما نتج عنها انماط معمارية إنشائية انعكست علي فن القط الزخرفي العسيري. تهدف هذه الدراسة الي إبراز دور مساهمة المرأه العسيرية في تنمية وإثراء الفنون الجدارية وموائمتها مع العمارة التراثية بالمنطقة وذلك في ظل الحقبة الإسلامية أواخر الحكم العثماني (اواخر القرن التاسع عشر الميلادي)، كمحاوله لتكوين بنية فكرية نظرية للحفاظ علي الموروث والطابع القومي للمنطقة، بجانب الدراسات السابقة التي تناولت تحليل فن القط كموروث بهيئة زخرفية مجرده. لذا اتبعت الدراسة المنهج التحليلي والمسح الشامل لإبرز العناصر الزخرفية الجدارية وإثبات ان فن القط العسيري ليس فن زخرفي تجريدي فقط بال انه فن بنائي مرن يتاثر بالبيئة المحيطة ويرتبط ارتباطا وطيدا بفن العمارة البيئية، كأحد عناصر فن التصميم الداخلي والخارجي الذي يعتني بتزيين الفراغ المعماري من حيث تخطيط المساحات وترابطها وتناغمها وانسجامها مستخدما ادوات وخامات بدائية .

كلمات دالة Keywords:
Asir Rijal Alma' **عسير رجال المع**
Asir Province, **منطقة عسير**
Nagash ornament **زخرفة القط**
Asir old house **بيوت عسير القديمة**
Asir Traditional mud houses **العمارة التقليدية بعسير**

Paper received 5th July 2016, accepted 9th August 2016 , published 15th of October 2016

مقدمة Introduction
تزخر العمارة التقليدية في الحقبة الإسلامية في منطقة تهامة عسير (ابها) بوحدات وعناصر بعضها أساس إنشائي وبعضها يخدم الهدف المقام من أجله البناء والأخر مكمل معماري، لذا يعد دراسة أساليب المعالجات الجدارية للتصميم الداخلي والخارجي هو احد عناصر المفردات المكملة للعمارة وبخاصة البيئية. فهي في مجملها تعبر عن الصفات الجمالية والحسية للبيئة المحيطة والمجتمع، فمن خلال دراسة وتحليل بعض العناصر الزخرفية المنفذه بأسلوب فن القط العسيري يمكننا استقراء الطبيعة الجغرافية المحيطة وكذلك الأساليب الفنية المحلية والوافدة مستدلين عليها من خلال ربط الأحداث التاريخية.
تتشابه بيوت منطقة تهامة عسير بصبغتها اللونية المتميزة حيث الزخارف التجريدية المنمقه والمسطحة، وتزداد تلك الاسطح الجدارية الملونة تالقا بانكسار الشمس والظلال الساقطة عليها من العناصر المعمارية المجسمة والبارزة مثل الشرافات وكذلك الملامس الخشنة مثل خامة الطين والطوب اللبن والحجرالذي يشبه الصفائح المرصوصه (الرقف) فتشبه لوحات المدرسة التكعيبية. فكما عالج المعماري عمائره لمقاومة الرياح المحملة بالأتربة والرمال والهواء الساخن وأشعة الشمس القوية، عالج فناني القط العسيري جدرانه بزخارف ونقوش متلائمة مع النسيج البنائي للعمارة البيئية، حتي اصبح فن القطتقليداً معمارياً متوارث في تلك المنطقة. فإنه من الطبيعي ان يتأثر فنانوه ببعضهم البعض مما يدفع بعجلة الفن إلي التطور والتحديث كما في العصور السابقة.

مشكلة البحث Statement of the problem
- الحفاظ علي مقومات الهوية التراثية التي تحمل بعمقها الأصالة لمقاومة التغيرات المدنية الحديثة التي تطمس معالمها.
- فن القط العسيري فن بنائي يرتبط ارتباطا قويا بفن التصميم المعماري والعمارة البيئية فمن خلاله نتج عنه صفة الأندماج والتشبع العام.

أهداف البحث Objectives
- تحليل وحدات زخارف فن القط بقرية رجال المع لاثبات توائمها مع فن العمارة التقليدية والبيئة المحيطة.
- مساهمة المرأه العسيرية في تطور وتوظيف التراث للحفاظ علي البصمة والهوية القومية.

حدود البحث Delimitations
المكانية: تتركز الدراسة علي منطقة تهامة عسير بقرية (رجال المع) بأبها وتعتمد علي المسح الشامل للاسطح الجدارية المنقوشة بفن القط والمصبوغة بالمسطحات والمساحات اللونية.
الزمانية: النصف الاخير من حكم الدولة العثمانية من القرن التاسع عشر الميلادي.

مسلمات البحث Assumption
تتميز قري منطقة عسير بطابع فني جداري عن بقية انحاء المملكة، وقد تميزت كلا من قرية رجال ألمع و قرية قحطان بمعالجات فنية جدارية ذات طابع خاص، كما أنها انفردت عن الفنون التراثية المناظرة لها ببلدان الجوار مثل اليمن في الجنوب والفنون الافريقية المقابله لها من جهة الغرب الفاصل بينها البحر الاحمر.

فروض البحث Hypothesis
ان فن القط التراثي هو فن بنائي، يعد أحد عناصر التصميم المرتبط بفن العمارة التقليدية، فبجانب انه فن يحافظ علي الطابع القومي للمنطقة، هو أيضا فن يتحقق من خلاله الدعم النفسي

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

والترابط المجتمعي.
برغم تواجد الحكم العثماني في القرنين الخامس عشر والتاسع عشر الا انه لا توجد اي تاثيرات فنية تركية مباشرة علي فن القط التراثي وبخاصه في قرية رجال المع.

منهج البحث Methodology

تتبع الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المعتمد علي المسح الشامل لمعظم العناصر المتميزة والمتكررة علي جدران قرية رجال المع بمنطقة ابها الواقعة في جنوب غرب المملكة العربية السعودية.

الخلفية التاريخية Historical Background

نشأت في المنطقة الجنوبية بشبه الجزيرة العربية حضارات قوية ذات أبعاد ثقافية وسياسية وفنية قوية بعضها متعاقب وبعضها متزامن في الحكم والتواجد زمنيا وهي (معين، وسبأ، وقتبان، وحضرموت، وأوسان، وحمير) في خلال القرن الأول ق.م. إلي أوائل القرن السادس ميلادي. تعد المنطقة الجنوبية الغربية احد المواقع التاريخية منذ عهود ما قبل الإسلام ففي هذه المنطقة مرت جيوش أبرهة النجاشي الذي أراد أن يهدم بيت الله الحرام والهيمنة علي بلاد الحجاز، وشواهد ودلائل لنقوش قوم ثمود، وعبرت من خلال هذه المنطقة القوافل التجارية المعروفة برحلتي الشتاء والصيف إلي ومن اليمن ومكة المكرمة.
أصبحت المنطقة الجنوبية الغربية تمثل جزء هام من أجزاء الدولة الإسلامية، فقد منح الإسلام لهذه المنطقة خط دفاعي قوي ومتين طوال هذه الفترة ضد أطماع بلاد الفرس والحبشة، حيث تعد هذه المنطقة احد البوابات الهامة لقلب الدولة الإسلامية التي كان مركز حكمها الحجاز، وسرعان ما انتقل الحكم إلي العواصم الإسلامية الاخري عبر حكم الخلافات الإسلامية المتعاقبة، إلا أن هذه المنطقة ظلت تتمتع بالعناية الكاملة من جميع حكام المسلمين لحماية قدسية الحرمين الشريفين من أطماع الاستعمار البرتغالي والبريطاني في أواخر القرنين التاسع عشر الميلادي والعشرين، بالرغم من استيلائهم علي عدن وبعض من مناطق شبه الجزيرة العربية الواقعة علي الخليج العربي بحجة حماية تجارتهم المارة بالطريق التجاري بهذه المنطقة.
لقد خضعت منطقة عسير الي الحكم الاموي والعباسي ثم العثماني في فترة أبن عايض وانتهت بحكم الدولة السعودية.

1.1. طبوغرافية المنطقة الجنوبية الغربية وتنوع انماط العمائر التقليدية

تنوعت تضاريس المنطقة الجنوبية الغربية إلي نمطين، الأول هو امتداد سواحلها الرملية المنبسطة في الجهة الغربية المطلة علي البحر الأحمر التي تواجه مجموعة من الجزر التابعة لها عرفت باسم فرسان وعرفت تلك المنطقة باسم (تهامة الساحل)، والثانية كلما توجهنا إلي الداخل نحو اليابسة تنتشر المساحات الخضراء حيث حرفة الزراعة وسكان الريف بعاداتهم وتقاليدهم المختلفة عن أهل الساحل والجبال حيث امتداد سلسلة جبال السروات التي تقع في الجهة الشرقية لهذه المنطقة وعرفت باسم (تهامة الأصدار). حيث تباينت انماط العمائر ما بين اشكال مختلفة من العشش السكنية لقبت طرزها طبقا لتواجدها واشتهارها بالمنطقة، في حين امتازت منطقة الأصداربنوعين من التخطيط المعماري، أحدهما علي يبني من الحجر علي هيئة مربعة وغالبا ما يضم ساحة داخليه تعد المتنفس للفراغ المعماري الداخلي للمنزل، والآخر عباره عن تجمعات سكنية علي هيئة أبراج تحصينية متصلة عبر سلالم وقناطير. وتقسم الأنماط المعمارية والعمرانية للمنطقة الجنوبية طبقا للتضاريس الطبوغرافية والمناخية والارتفاع عن سطح البحر الأحمر إلي:

(شكل رقم 1) التصميم البنائي للعمارة التقليدية طبقا لأختلاف طبوغرافية منطقة عسير (المصدرThierry Mauger: P.13[1])

2.1.1 هضبة نجران:

تقع منطقة نجران جنوب غرب المملكة العربية السعودية، يحدها من الشرق المنطقة الشرقية، ومن الغرب منطقة عسير، ومن الشمال منطقة الرياض، ومن الجنوب الجمهورية العربية اليمنية.(عبد العزيز منسي واخرون (2003 م) اهتم الرحالة والمؤرخين والجغرافيين بتسجيل أهمية موقع نجران بصفتها واحة زراعية، وتقع علي طريق التجارة البري القديم لقوافل التوابل والبخور الذي يربط شمال المنطقة بجنوبها "ثم يمر بنجران، ويتفرع عند بئر حما إلي فرعين: الأول يتجه إلي شمال شرق الجزيرة العربية مارا بقرية الفاو ثم الأفلاج واليمامة والجرهاء ومنها بمحاذاة الساحل إلي بلاد ما بين النهرين، في حين يتجه الطريق الآخر من بئر حما إلي شمال غرب الجزيرة العربية مارا بجرش ثم مكة المكرمة والمدينة المنورة والعلا ثم البتراء وبلاد الشام ومن ثم وادي النيل، حيث كانت المعابد المصرية آنذاك تعتمد علي صادرات جنوب الجزيرة العربية من اللبان والمر والبخور في ممارسة بعض الطقوس الوثنية" (عبد العزيز منسي

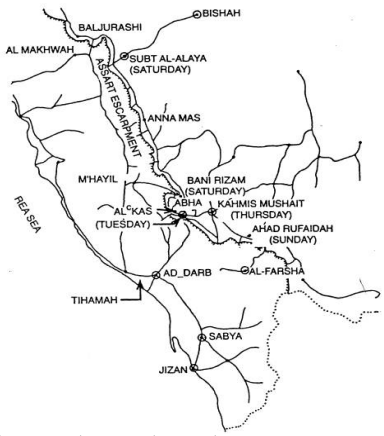

(شكل 2) خريطة توضيحية لقري المنطقة الجنوبية الغربية من المملكة العربية السعودية. المصدر:(محمد عبد الله صالح،2001)

واخرون 2003 م)، وهذا ما يفسر التأثير المصري القديم علي المنحوتات الأثرية والتأثيرات البيزنطية والقبطية والفارسية والشامية.

تتمتع تلك الهضبة بالمناخ الصحراوي الحار والجاف صيفا وندرة الأمطار شتاء وقد أثرت تلك العوامل علي المواد المستخدمة في البناء المعماري، حيث شيدت البيوت (شكل 1- ب) المداميك باستخدام الطوب الطيني المخلوط بالأعشاب والتبن والماء. ارتفعت مستويات الطوابق ما بين ثلاثة طوابق وخمسة محاطتا بافنية ذات اسوار عالية متلاحمة مع اسوار البيوت المجاورة مشكله طرق وحارات ضيقه منسجمة مع التلال الزراعية والحقول.

2.1.2 <u>جبل السروات ومرتفعات أبها</u>: تمتاز المناطق الجبلية المواجهة للبحر الأحمر باعتدال الحرارة إلي حدا ما صيفا والبرودة شتاء وزيادة معدل الأمطار، مما دعا إلي ضرورة البناء علي قمة تلك المرتفعات تفاديا لجرف مياه الأمطار واستخدام الأحجار في تأسيس الدور الأرضي والأول، في حين استخدم خامة الطين المخلوط بالأعشاب والتبن بواسطة الماء كمداميك، يعلوها صف من الحجر المسطح البارز من الجدار بصورة تبادلية، للحفاظ علي طبقات الطين من الأمطار، عرفت هذه الطريقة باسم (الرقف) (شكل 1- ب).

أخذت تلك الأبنية المعمارية الشكل الهرمي دون قمة، فبدت بمظهر قلاع دفاعية تحصينية، وسكنية حيث حرص المعماري علي تزين الواجهات الخارجية وإطارات الفتحات من نوافذ وأبواب بالجص الأبيض(النورة)، في حين زين الجدران بزخارف هندسية ملونة زاهية بالون الأصفر والأخضر والأزرق والأحمر.

2.1.3 <u>جبال فيفا والباحة</u>: تتمتع تلك المنطقة بغزارة الأمطارعلي سفوح الجبال، مما استلزم تأسيس وبناء الأبراج الدفاعية الاسطوانية والمستطيلة والمربعة الشكل، بالأحجار الغير منتظمة الشكل بصورة تراكمية مع ملء الفراغات بين الأحجار الكبيرة بصخور صغيرة دون مونة، وزينة إطارات الفتحات والنوافذ ذات اللون الجبلي القاتم بأشكال هندسية من حجر المرو الناصع.

2.1.4 <u>تهامة جازان</u>: تمتاز المناطق الساحلية الممتدة علي البحر الأحمر بارتفاع الرطوبة صيفا مع ارتفاع درجات الحرارة بينما تعتدل الحرارة شتاء حيث الدفء، وقد ساعد هذا المناخ علي نمو الأشجار والحشائش وزراعة القصب والخيزران، ونظرا لتوفر هذه الخامات الطبيعية وانبساط الأرض في هذه المنطقة أدي إلي بناء العشش السكنية علي هيئة أكواخ اسطوانية (شكل 1 - د) ذات سقف مخروطي الشكل دون أي نوافذ، اعتمادا علي نفاذ الضوء والهواء إلي الداخل من اعلي، عبر غصون الأشجار والنباتات التي تكسو اعلي المنزل، متأثرتا بأسلوب العشش بأفريقيا، وقد كسيت الجدران الداخلية والخارجية لتلك العشش بطبقة طينية وجصية زينت بالرسوم والزخارف الهندسية المجردة وفي بعض من الأحيان ثبت عليها أطباق ملونة بألوان زاهية ذاع استخدامها في التراث المعماري والمنتجات التطبيقية، وهي اللون الأحمر والأصفر والأزرق والأخضر.

2.1.5 <u>منطقة الاصدار</u>: تشتمل علي قرية رجال المع وجبل الفيفا وعقبة الباحة وزي عين، وقد احتوت تلك المنطقة علي انماط مختلفه في انشاء العمارة السكنية التحصينية مستخدمتا الكتل الحجرية المرصوصة فوق بعضها البعض مثبته اياها بقطع الاحجار الصغيرة ومزينة واجهاتها بحجر المرو الابيض الناصع ودرجاته اللونية المختلفه، فظهرنمط العمارة المتنافرة التي يتم بنائها طبقا للمساحه المتاحة في الحقول والتضاريس الجبلية المتدرجة، فالتحمت الابراج الاسطوانية المرتفعة مع الابنية المنخفضة الارتفاع ومثلت حصن دفاعي، كما ظهر نمط التحام البيوت البرجية ذات القواعد المربعة الشكل المترابطه من خلال ممرات ضيقة متصله فبدت كقلاع حربية مرتفعه ذات اربع طوابق.

ساهم تنوع الانماط المعمارية ومعالجاتها الجدارية طبقا للعوامل البيئية والسياسية والاجتماعية والدينية في أثراء فكر وخيال الفنون التراثية مع توظيف الخامات البيئية المتاحة، فجميعها يتحد في الوظيفة والهدف وهو السكن والأمن، وان اختلفة الاماكن والمساحات المخصصة للغرض الا انها تتشابه من حيث التكتل والتجاور والتتابع والاتصال والأبراج العالية والاعتناء بجمالية المظهر العام.

2. <u>قرية قبيلة رجال المع ودورها التاريخي:</u>

قبيلة رجال المع احد قبائل عسيرالتابعة لمنطقة الأصدار وهي من القبائل المعروفه بشدة البأس ويرجع اصولها إلي بعض من القبائل ذات الأصول الأزدية (هشام سعيد النعمي 1999 م) ، وتقع قبيلة رجال ألمع "في تهامة علي روافد وادي حلي مثل وادي كسان ...ووادي ريم وفي جبال حسوة وقلوة وغمرة" (حمد الجاسر، 1981م). تتميز تلك المنطقة بصعوبة تضاريسها الجغرافية الوعرة التي أثرت علي تخطيطها العمراني، لذا شيدت ابنيتها علي هيئة حصون وقلاع التي يزيد ارتفاعها في بعض من الاحيان عن خمسة طوابق. استطاعت قبيلة رجال ألمع مع القبائل ألاخري التصدي للعدوان العثماني الذي لم يتسطيع الوصول اليها نظرا لاستخدامها نظام (المرجمه الدفاعية) وهي اداه تستخدم في قذف الصخور من اعالي الحصون والقلاع اي الرمي بالصخور، وخير دليل علي ذلك عدم وجود أثار لقلاع عثمانية بها.

تمكن الوالي محمد علي من السيطرة علي حكم مصر (1805-1953 م)، وقد راودته فكرة تكوين دولة عربية موحدة مستقلة عن الدولة العثمانية تضم الجزيرة العربية فحاول من خلال أحمد باشا والشريف أحمد بن عبد المعين بن عون السيطرة علي منطقة عسيرعام 1239هـ (محمود شاكر، 2000) مستخدما سياسة الترغيب والترهيب لتحقيق التألف مع القبائل فمنهم من خضع والبعض الأخر رفض مثل قبيلة رجال ألمع الذي حاول القائد أحمد باشا في استمالتها للقضاء علي عائض بن مرعي الذي كان يخضع للولاء اليهم في بادئ الأمر ثم تحول ضدهم، والذي خاض عدت حروب منذ بداية غزو الأتراك (1834 م إلي 1869م) (كيناهان كورنوسواليس،2007)، إلا ان أحمد باشا لم يتمكن من أقناعهم واستمرو في مؤاذرة أل عايض.

خاضت بعض من قبائل منطقة الاصدار ومنها قبيلة رجال المع حروب طاحنة ضد جيوش محمد علي باشا في موقعة وادي بسل القريبه من منطقة الطائف (1230 هـ) التي انتهت بانتصار جنود محمد علي بالجيوش المصرية علي الجيوش السعودية بالأتحاد مع القبائل، ويرجع أنتصار محمد علي في هذه المعركة لعدة اسباب أهمها الهزائم المتكررة التي الحقت بهم علي يد أشراف مكة وقبائل غامد وزهران بقيادة القائد بخروش بن علاس، إلا ان تلك القبائل ومنها قبيلة رجال المع لم تستسلم لتلك الهزيمة فعادو الي الكر والفر مع الجنود الاتراك حتي تم طردهم (1231هـ) خارج تهامه إلي الطائف ثم إلي جدة وخاصتا بعد أسر وقتل قائدهم بخروش، كما شاركت قبيلة غامد في اسقاط حكم الشريف علي عسير الموالي للحكم العثماني عام 1238 هـ، وتصدو بكل حسم لجيوش أحمد باشا عام 1241 هـ حتي انتهت تلك الحروب المتلاحقة بعقد أول اتفاقية عام (1241هـ) تنص علي استقلال عسير عن الحكم العثماني، ويبدو ان تلك البؤرة كانت العقبه امام جيوش الدولة العثمانية للوصول الي بعض من المناطق الجنوبية نظرا لسيطرتها علي جبال رفيدة وربيعه التي تسمي (عقبة القضاء) وهي المنطقة التي تصل بين أبها ومحايل، لذا لم يستطيع إبراهيم باشا عام 1251هـ بجيوشه العاتية التي اسقطت الدولة السعودية الأولي من ردعهم تحت الحكم العثماني، انقطع الاحتكاك بين القبائل والاتراك عام (1321 هـ) .

3. <u>العلاقات القبلية وأثرها في تشكيل طرز معمارية وفنية</u>

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

زخرفية:

شكلت العلاقه الوطيدة بين قبائل المنطقة الجنوبية الغربية وقبيلة رجال المع الشكل العام للعمارة ومعالجتها الزخرفية الداخلية والخارجية، وهذا ما اكد عليه تشيلي "بدراسة وتحليل أثر العوامل الاجتماعية والثقافية القبلية في المجتمع الهندي المسلم في انتاج انماط معمارية متميزه من البيوت" (Rajmohan Shetty,1990). لذا لم تكن العوامل الطبوغرافية فقط هي التي تشكل الأنماط المعمارية والزخرفية، بل أيضا علاقة النسب بين القبائل هي التي تعكس التاثيرات الفنية والمعمارية في ظل مجتمع إسلامي قبلي متحفظ.

ساهم الموقع الجغرافي لقرية رجال المع علي ان تكون احد المراكز التجارية الهامة لطريق التجارة اليمني لبلاد الهند، والطريق الإفريقي المار بجيزان والقحمة والبرك، علي اثراء وحداتها الزخرفية فبدي بها مظاهر روح التأثر بفنون الحضارات القديمة مثل الفن الهندي والإفريقي واليمني، وبخاصة في الدرجات اللونية الزاهية وبعض الوحدات الهندسية المجردة.

4. المعالجات الجدارية لواجهات عمائر قبيلة رجال المع:

تعددت اساليب زخرفة الواجهات الخارجية الحجرية لعمائرمنطقة الجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية ما بين زخارف هندسية بحجر الكوارتز أو المرو الأبيض، وما بين طلائات جصية باللون الأبيض او ملونة، وصخور بارزه عن الجدار المعروفة باسم (الرقف أو النطف) وهو عبارة عن طين "الخلب" حيث يتم تثبيت ثلث الالواح الحجرية أفقيا في داخل الجدار علي ابعاد متساوية من المداميك التي يتراوح ابعادها ما بين 40 و50 سم، و50 و60 سم ارتفاع، المغطاه بطبقة من الطين والقش المطحون، والغرض من استخدام الرقف هو الحفاظ علي الجدار من الأمطار واشعة الشمس مما عكس مشهد ابداعيا مجسما لشكل العمارة في تلك المنطقة (آثار منطقة عسير، 2003م). فقد كانت مهمة الرجل الألمعي القيام بتلك المهمة اثناء عملية البناء فظهر الإعتناء بزخارف إطارات النوافذ الضيقة التي شكلت علي هيئة رؤوس الرماح المدببة (شكل 4،5) ذات الشكل المثلث ونسقة بهيئة متتابعة بحجر الكوارتز الأبيض وكأنه يرمز إلي خصوصية وحرمانية المكان، وفي احيانا اخري نسقت الحجارة بصورة تبادلية بين اللون الأبيض والأسود (شكل5- أ،ب) كما في قرية رجال المع، وفي احيانا اخري يتم وضعها عشوائياً على جدران الطين وذلك لكسر الشعور بالملل. ويرجع الاهتمام بزخارف الواجهات الخارجية بالأشكال الهندسية الحجرية ذات اللون الأبيض إلي العقود الساحقة قبل ظهور الإسلام أي العصر الجاهلي في عمائر وادي عياء (شكل 3) الذي يقع شمال عسير بمنطقة خميس مشيط "أبها" الذي يذخر بالعديد من الحصون والقلاع والمقابرذات الطابق والطابقين والقصور المنمقة هندسيا وزخرفيا. ويذكر الشنفري أحد شعراء العصر الجاهلي ان عمائر وادي تعود إلي إلي قبيلة الأواس بن حجر. (خزامي الصحاري ، 2011م) في العهود التي سبقت ظهور الإسلام حيث شيدو القصور والمساكن والمعابد وزينوها بحجر المرو أو الكوارتز بتشكيلات هندسية.

(شكل 3) أحد قصور وادي عياء بخميس مشيط -ابها

(شكل 4) تشكيل زخرفي بحجر الكوارتز علي احدي واجهات عمائر (المصدر: سلطان الاحمري1431هـ، جريدة الرياض العدد 15320)

(شكل 5- أ،ب) رصات متنوعة بحجر المرو الابيض تزين واجهات عمائر قرية رجال المع

اشتهرت قرية رجال المع بزخرفة جدران العمائر بالخامات البيئية المختلفة فكان دور الرجال البناء والتشييد وزخرفة الواجهات الخارجية بالخامات البيئية، في حين تقوم المرأه بتزين ونقش الجدران من الداخل امتدادا من باب الدخول الي غرفة الاستقبال الخاصة بالرجال "المجلس" التي غالبا ما تكون في الدور الأول فوق الدور الارضي المخصص للماشية والدواب وتمتد تلك النقوش الملونة إلي الغرف المجاورة حتي تصل تدريجيا الي سطح المنزل.

5. فن نقش الجدار بعسير وتأثره بالحضارات العريقة:

عرف فن التصوير الجداري منذ القدم علي جدران الكهوف، وانتقل وتبلور عبر العصور التاريخية إلي فن تزيين أسطح جدران العمائر الداخلية والخارجية، وسرعان ما اتخذ مكانته عند مختلف الشعوب فاعتنتي به وبخاصة بين القبائل. فهو يعد نوع من أنواع الفنون التعبيرية التي تعكس حضارة وثقافة المجتمع.

امتد التأثير المصري منذ الحضارة المصرية القديمة وتجدد بعد فتح الإمبراطور كامبيسس الفارسي (550-531 ق.م) مصر حيث توطدت العلاقة بين المنطقة الجنوبية والغربية بشبه الجزيرة العربية، كما اهتم الإمبراطور تحتمس داريوس الأول (521-484 ق.م) بتنشيط طريق التجارة القديم الذي يربط بين مصر والهند وامتد هذا الترابط عبر الأزمان التاريخية وصولاً إلي الفتح العربي الإسلامي. وقد انعكست تلك العلاقات المتبادلة علي أسلوب معالجة زخارف الجدران، فقد شاع في مصر في ظل الحكم الإسلامي تلوين الزخارف بالون الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق والذهبي والفضي. كما كان ينتشر عادت تزيين جدران المنازل بالنوبة بالرسوم والزخارف والكتابات والمساحات اللونية. ويبدو أن اللون الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر هي الألوان الأساسية المشتركة بين الشعوب التي زينت أسطح جدرانها وزخارفها بها، فيتم تحديد إطار الوحدة الزخرفية بلون مختلف لإظهار رونق الشكل وقيمة اللون.

CC BY

الإطار التحليلي التقنى

Technical analytical framework

7.1 أثر فن السدو على فن القط في تحقيق الوحدة والتنوع في الزخارف التقليدية:

فن حياكة السدو فن بالغ القدم، ظهر مع تطور الانسان وصناعة الاواني الفخارية وحرفة الرعي، لذا نرجع تأثر فن القط بفن السدو. فيذكر ارنست كونل في كتابه الفن الإسلامي، ان هناك دلائل أثرية تدل انه متواجد منذ فجر التاريخ علي سبيل المثال مصر التي كانت تصدر منتاجاتها من النسيج القباطي (كونل،ارنست، 1966 م)، وفي ظل الحكم الاسلامي عهد الدولة الاموية تطورة صناعة النسيج وأمتد ذلك التطورإلي المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية وعرف باسم (الوصايل) (علي،جواد، 1971 م). في حين ان اشتهرت منطقة نجران التابعه للحدود السعودية في ظل حكم الدولة العباسية عهد المأمون بن هارون الرشيد (170 – 218هـ) خلال القرنين (الرابع والخامس الهجريين)، بنسيج زخرفي قوامه اشكال مختلفه علي هيئة أشكال هندسية وخطوط منكسرة ممتزجه بالكتابه الكوفيه.

(شكل 6) قطعه من فن نسيج السدو (المصدر: فليكر)

تشابهة عناصر ووحدات فن القط التي تزين جدران المنازل مع وحدات نسيج السدو المعروفه باسم (بيت شعر الماعز) وهو سكن البدو الرحل وهو عبارة عن نسيج يحك خصيصاً لأحد أنواع الخيام البدوية التي تنصب في فصل الشتاء، فهو من أقدم الحرف التقليدية التي تقوم بها المرأه البدوية حيث تغزل ذلك النسيج بشعر الماعز الذي يتميز بمقاومته وتماسكه عند تعرضه للأمطار وباضافة صوف الخراف له يزداد تماسكاً ومقاومتاً للعواصف والرياح وحرارة الشمس.

استخدمت معظم وحدات عناصر نسيج السدو في النقش علي الجدران فيما عدا رموز القبائل ووسم الحيوانات، كما تباينة واختلفت تلك الوحدات والوانها من قبيلة إلي اخري. فكلا الفنين التراثيين يجتمعا علي تصميم وبناء وحداتهما في خطوط مستقيمة رأسية متشابكة مع الخطوط الأفقية ذات الألوان الداكنة للأحمر والأسود والأبيض والبني. ويعود ذلك التأثير المتبادل بين كلا الفنين ان البدو الرحل اعتمدو علي نسيج السدو في بناء خيامهم وفرشها من الداخل ومستلزاماتهم من امتعة وسروج خاصة بالحيوانات، وبظهور البترول في المنطقة تطورت الحياة الأقتصادية والأجتماعية وعم الأمن والأستقرار وتوجه معظم البدو الرحل إلي منطقة مشروع الهجر التي يجتمع بها مصادر المياه. مما أدي إلي انتقال دور المرأه إلي تزيين وزخرفة الجدران وأمتدت الي الأثاث والفراش بدلاً من البيوت المتنقلة (الخيام). اتبع معظم أساليب تقسيم زخارف نسيج السدوعلي الجدران فاتخذ من الإطارات الزخرفية التي تحيط البسط من اطرافه، إطارات زخرفية مشابهة تحيط جوانب وأركان الجدارن حيت تحتوي بين جنباتها علي تقسيمات متنوعة من الصيغ الهندسية والنباتية، إلا أنه أضيف إلي المعالجات الفنية الجدارية ألوان مستحدثة عبر العصور.

7.2. تحليل عناصر زخارف فن القط:

تتالف وحدات وعناصر بناء تصميم زخارف فن القط من مجموعة من الخطوط المستقيمه والمنكسرة ونادراً ما يستخدم بها الخطوط المنحنية كما في العمارة البيئية التي تتميز بها تلك المنطقة. قسم سطح الجدار الي ثلاثة اقسام افقية متوازية (علوي "هديه"– ووسط "ختام"– نهاية) تحصر بينها مجموعات زخرفية هندسية ملونة بين خطين أفقيين. كما غطت أسقف البيوت ايضا مثل جدرانها بنمط هندسي ونباتي للعوارض الخشبية الحاملة للأسقف (شكل7)، والسواكف الخشبية التي تقوم بمهمة الدعامات التي تصل بين الأعمدة والجدران والأعتاب العلوية للفتحات والنوافذ المتوازية وغالبا ما تكون من خشب الأثل. وتركزت الزخارف علي واجهات الأبواب الخشبية المدعمه في بعض الاحيان ببعض المعادن ونقشت باللوان زاهية وذلك لإبراز أهميتها لأستقبال الضيوف ورمز لواجهة صاحب المنزل.

7.3. الألوان والخامات المستخدمة في نقش الجدران:

ذاع صيت أسلوب النقش وعرف باسم "القط" كما في جبال سراة، وباسم"الزيان والنقش" في منطقة تهامة، وهو أحد الحرف التقليدية التي تميزت بها المرأة هناك، حيث برعت في استخدام النقوش الهندسية والنباتية المجردة المستلهمة من البيئة المحيطة بها، منفذه إياها بألوان مستخرجة من الطبيعة مثل اللون الأسود، فقد استخرج من خامة الفحم الأسود المطحون الممزوج بالصمغ ليمنحه المعان والثبات، واللون الأحمر مستخرج من مجموعة من الأحجار الحمراء اللون، ممتزجة بنبات المر والأرز المطحون بنسب محددة ومعروفة للنساء الألمعيات، بينما يتم الحصول علي اللون الأصفر والأخضر والأزرق من مواد طبيعية تستورد من بلدان مختلفة عن طريق التجار الوافدين من الحملات التجارية والحج. ومن أشهر النساء الألمعيات التى عملت بهذا المجال الفنى مثل: زهرة فايع، وشريفة محمد مهدي، وفوزية بارزيق، فاطمة أبو قحاص، وقد تميزت كلا منهم بدرجاتها اللونية وعناصرها الزخرفية.

أثرت البيئة المحيطة من طبيعة ونبات وحيوان وغيرها، في إختيار الدرجات اللونية فعلي سبيل المثال إعتز البدو بالإبل فكانت درجات اللونية لأوبارها متقاربة من الدرجات اللونية المستخدمه في نسيج السدو ونقش القط وكذلك علي المنتجات التطبيقية الأخري، فكانت إبل الوضح ذات اللون الأبيض، وإبل الملح ذات اللون الأسود الحالك، وإبل الحمر ذات اللون الأحمر، وإبل الصفر ذات اللون الأصفر. وبذلك عبرت المرأه من خلال فن النقش والزخرفة (القط) عن ما بداخلها من مشاعر وما يجوب بخيالها وتفاعلها مع البيئة المحيطة بها عاكسه ثقافتها وقناعاتها ومعتقداتها.

7.4. أدوات الرسم والتلوين للمرأة الألمعية: صحن التلوين وبعض من الفرش المستخرجة من ذيل الأغنام وأداة معدنية تشبه المكوك.

7.5. إعداد الجدار لنقش القط بمنطقة عسير:

تتمثل أولي خطوات العمل الفني لزخرفة الجدار في اعداده من خلال الرجال حيث تكسي الجدران الحجرية بطبقة مستوية تعرف لدي الحرفين بالمنطقة "باللياسة الجصية" علي سطح الجدار، وهو جزء من استكمال الجانب الأنشائي الذي يختص به الرجال، وبعد جفافه تقوم المرأه بتقسيمه إلي مساحات متناسبه مع مساحة واتجاه الأسطح الجدارية، مثل الجدار المواجه لأستقبال الزائرين أو الذي يقع في صدارة غرفة القهوة، فينفرد بتصميم متكامل يشبه السجادة أو الإطار الفني، وفي حالة أمتداد وتمدد الجدار طبقاً لتصميم الفراغ المعماري، تقوم المزخرفة بتقسيم الجدار بصورة متناسبة مع حركة واتجاه الخطوط المعمارية مثل الدرج والأركان وإطارات الأبواب والنوافذ والكوات.

تتشابه المعالجات الفنية التراثية في معظم قري منطقة عسيرحيث اتخذت نفس منهجية تقسيم وأعداد سطح الجدار للنقش والتلوين، وقد اشتهرت كلا من قريتي رجال ألمع وبلاد قحطان بالأعتناء بفن

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

معالجة الجداران الملونة، لذا قسمت الاسطح الجدارية إلي:

7.5.1 الجدران: خصصت بعض الجدران بصورة كامله لرسم الزخارف في إطارمحدد علي هيئة مستطيل أو مربع الشكل متناسبا مع مساحة الجدار، مثل السجادة في نسيج السدو عرف باسم زخرفة "البترة"، وغالبا ما تحتل صدارة واجهة أحد الجدران المرتبطه بالمجلس المخصص للرجال. بينما في بلاد قحطان غلب طابع البساطه والتلقائية في رسم المزهريات وبعض من رسوم الطيور والأشكال الهندسية والنباتية، علي نحو آخر قسمت أسطح الجدارن الممتدة مثل مقدمة المنزل والدرج والغرف إلي ثلاثة أجزاء علي النحو التالي:

أ. أعلي الجدار غالبا ما يكون خالي من الزخارف أو يحتوي علي زخارف بسيطه وكأنه القبه السماوية التي ترمز الي الفراغ والمجهول.

ب. الجزء السفلي من الجدار غالباً ما يحتوي علي خطوط متوازية ومتكررة تسمي التقطيع العمري وهذا النوع سائد في نقوش قرية رجال ألمع، في حين ساد استخدام المساحات اللونية علي أمتداد الجدران في بلاد قحطان.

ج. منتصف الجدار علي مستوي النظر الأنساني تجتمع به الزخارف الابداعية في حدود إطارات وخطوط دقيقه ملونه.

(شكل 7) بعض من الأسقف من خشب الأثل الملون علي هيئة سواكف (المصدر: فليكر)

7.5.2 **الأسقف:** أعتني بزخرفة وتنميق عروق خشب الأثل المتوازية (شكل 7) التي تحمل الأسقف كما في عمارة البيوت التراثية بقرية رجال ألمع، حيث زخرفة بنفس الوحدات الزخرفية الملونة المستخدمة في الجدران، وبالمثل في بلاد قحطان امتد نفس اسلوب معالجة الجدران بطلائها بالوان زاهية مسطحة تشبه خطوط زخرفة العمري التي تقع أسفل الجدار.

(شكل 8) درج بأحد بيوت خميس مشيط بقرية رجال المع. (شكل 9) درج بأحد بيوت بلاد قحطان سنحان.(المصدر فليكر)

7.5.3 الأرضيات: تجانست زخارف فن القط مع الخطوط المعمارية فأعتني بتزيين وصبغة درجات السلالم الداخلية للمنزل في كلا من قريتي رجال المع وقحطان، زخرفة أرضيات الغرف بقرية رجال المع بطبقة طينية مجصصة تزخرف باصابع اليد علي هيئة دوائر شبكية متتالية تعرف باسم خشنة ويوجد نفس اسلوب معالجة الارضيات بعشش تهامة الساحل مما يعكس تألف وحدة البناء المعماري والزخرفي في تلك المنطقه رغم التباين الطبوغرافي الشديد، كما غطية ارضيات مساكن بلاد قحطان بالألوان الزاهية (شكل 9،8) مع مراعاة انسجام اتجاه تخطيط مسار الألوان مع خطوط الشكل المعماري، حيث أكدت المساحات اللونية المتسعة والشريطية الضيقة علي الخطوط المعمارية وأضحت كظل لها، كما ساعدت امتدادية الخطوط علي كلاً من الجدران والأرضيات علي امتدادية الرؤي البصرية للزائر لتقوده نحو غرفة الأستقبال في جو من الترحاب.

7.5.4 **الواجهات:** نادراً ما نلاحظ زخارف جدارية منمقه خارج منازل قرية رجال آلمع، فقد انحصر معظمها في الزخارف المعمارية بحجر المرو الأبيض والأسود وطبقة الجص لتزيين اطارات الفتحات الخارجية للمنزل، وبالإنتقال إلي داخل الساحة الداخلية للمنزل تظهر إبداعات زخارف فن القط للمرأه العسيرية، ونرجع ذلك التوجه نحو الداخل إلي السمه الغالبه للعمارة الصحراوية التي تتسم بالخصوصية وبخاصة إلي الموقع الجغرافي لقرية رجال آلمع الذي يقع أعلي قمة سفوح الجبال وصعوبة الوصول إليها، بينما في بلاد قحطان التي تقع علي التدرجات المنبسطة من الجبال وإمتداد المساحات الزراعية (شكل1- ج،د) أعتني المزخرفين أعتناء كلي وكامل بكافة الواجهات الداخلية والخارجية بصبغتها بألوان زاهية متضادة مفعمه بالديناميكية، ويرجع البعض امتداد المساحات اللونية المسطحة إلي عدت عوامل منها ندرة الحرفيين المتميزين في هذا المجال الفني، كذلك التقدم التكنولوجي ووفرت الطلائات اللونية سهلت قيام الغير متخصصين بهذا المجال بتغطية الجدران بمساحات شاسعة ومتجاورة، وتعود دقة المساحات اللونية التي لا تتجاوز عن 3 سم الي العصور السابقة (هاني محمد، 2005).

8. بنائية وحدات زخارف فن نقش الجدران:

أتسمت زخارف فن القط بالطابع الاسلامي الذي يتميز بالخصوصية، فقسمت مساحات الفراغ المعماري بصورة متوازنة ومتناسبة مع الوظيفة، وقد انعكس هذا الاسلوب علي طريقة تقسيم سطح الجدران بمنطقة عسيرما بين اشكال مربعة ومستطيلة محتويه علي مجموعات زخرفية، عرفت بأسماء محلية متداولة بين المزخرفين فكانت علي النحو التالي:

8.1. الختام: هي احد أشكال الزخارف التي تتوسط الجدار علي هيئة شكل مربع (شكل10)، يضم بين أضلاعه الأربعة التي يتراوح عرضها ما بين 30 و40 سنتيمتر تقريبا، مجموعة من النقوش علي هيئة معينات منقوطة من الداخل والخارج عرفت باسم البلسنة، وعلي نحو أفقي زينة جوانب الختم بمثلثات وأشكال خماسية، وفي بعض الأحيان زينة بخطوط متقطعة متوازية.

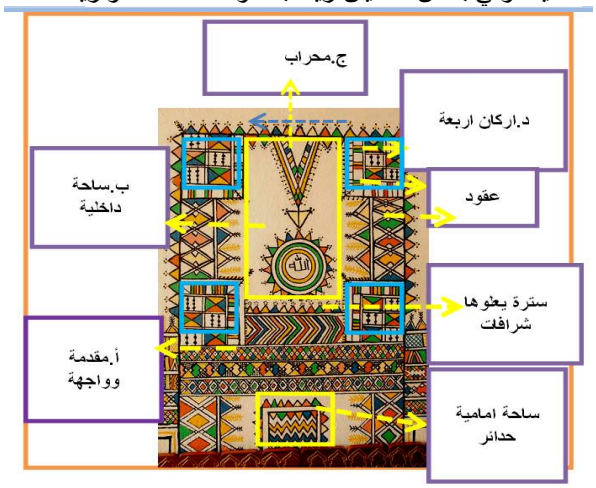

(شكل 10) زخارف الختام

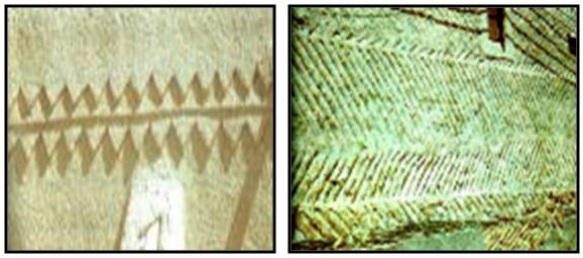

(شكل 11) زخرفة الحزوز (شكل 12) الحدائر

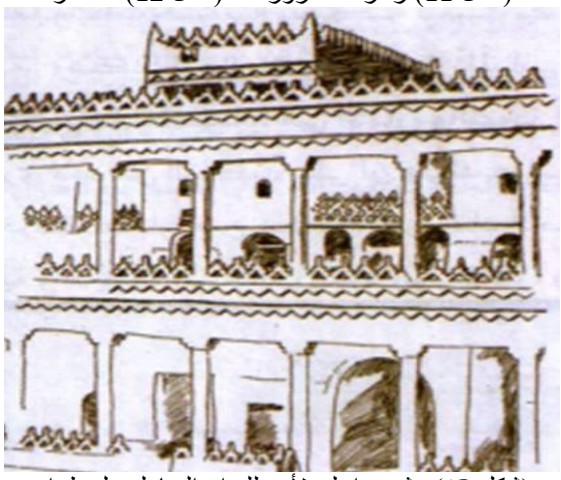

(شكل 13) مشهد داخلي لأحد لليوان المنازل عل طراز نجد.المصدر:عبد الله بن إبراهيم

بتحليل زخرفة الختام نجد ان الفنانة جمعت في تصميمها لتلك الوحدة، الرؤية البصرية المجردة للقطاع الرأسي والأفقي للشكل المعماري بهيئة تجريدية غير مقصودة وكأنها جنحت إلي روح تصميم الفنان العربي لمخطوطاته في المدرسة العربية ببغداد، ويتجه تصميم زخرفة الختام نحو المركزية والحفاظ علي الفراغ باللون الأبيض لتحقيق التوازن بين عناصر أطار التكوين المكتظة بزخارف ملونة، وقد ميزت المزخرفة لفظ الجلالة لقدسيته بوضعه في أعلي منتصف ذلك الفراغ في شكل دائري علي هيئة شمس مشعة متدلية من اعلي قمة المحراب المتجه نحو الشمال المتمثل في شكل مثلث كبير، وتسود الخطوط المستقيمة الحادة والمتشابكة والمنكسرة. فتبدو تلك الوحدة الزخرفية وكانها تحاكي اساسيات بناء العمارة الإسلامية التي اخذت من تخطيط مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم المكون من فناء داخلي يلتف حوله اربع جدران، ويؤكد تلك الرؤية الفنية التحليلية الاركان الأربعة ذات القواعد الزخرفية المربعه (شكل 10- ب)، ويربط بينهما أطارات شريطية زخرفية متقابله تحتوي علي مجموعات متتالية ومتكررة من مثلثات كبيرة وصغيرة مدببة تشبه العنصر المعماري المعروف باسم"الحدائر" في طراز نجد، وبأسم "الأشناف" بطراز العمارة الفلاحية بوسط المملكة (شكل 12)، وهي عبارة "مثلثات بنائية صغيرة ترص بجانب بعضها بعضا، فتكون علي هيئة مسننة أو مسنمة بارزة من واجهة الجدار"[ii] (عبد الله بن إبراهيم،2007م) ووظيفتها المعمارية هو حماية الجدران من الأمطار، وقد لوحظ بالتحليل الفني ان المثلثات الكبيرة المتجهه نحو الداخل تشبه رؤوس العقود المدببة ويفصل بينها خطوط مستقيمة باللون الأصفر مثل الأعمدة الحاملة، في حين أننا نلاحظ في الطرف الآخر يوجد مجموعة من المثلثات صغيرة الحجم متتالية تشبه الشرافات التي تقع أعلي الجدران وهي تمثل الرسوخ بقواعدها والامنتهي بقممها. ويتقدم المبني مساحة اخري تشبه السترة التي تقع في مقدمة الجدار مزخرفة بطريقة الحزوز (شكل11) المستقيمة والمتقاطعه بعد تليسه بطبقة طينية مستخدمين بها الآت حادة، وهو النمط الخاص بأسلوب عمارة نجد التراثية المنتشر بكافة انحاء المملكة العربية السعودية.

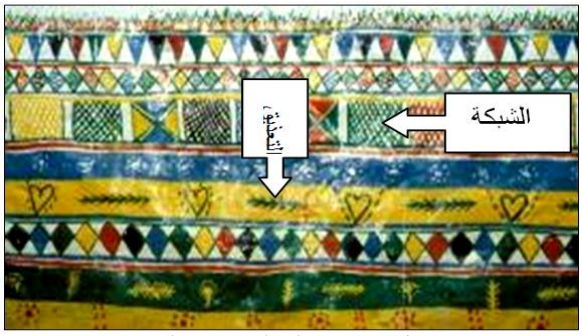

(شكل14) تفصيلية لزخارف البترة

8.2. البترة: تمتد علي طول الجدار وبخاصة علي جدران المجالس(شكل14)، وتضم جميع أنواع النقوش والزخارف الملونة منحصرة بين خطوط أفقية متوازية.

8.3. الشَّبكة: وهي تشابك مجموعه من الخطوط ينتج عنها أشكال لمعينات أو مربعات هندسية متداخلة (شكل14) تأخذ لوناً موحداً ويندر أن تتعدد الألوان فيها، ويكمن روح الإبداع في تلك الوحدة الفنية في الإبتكار، والتنوع في تشابك وتداخل الخطوط، وتري الباحثة أن هناك تأثير واضح لتلك الزخرفة التي تشبه شباك الصيد، فمن المعروف عن قبيلة رجال آلمع عملهم بالتجارة بالبحر ووصولهم إلي منطقة جيبوتي بأفريقيا.

8.4. الكَفْ: تمتد تلك الزخرفة بإمتداد أسفل الجدار المزخرف علي هيئة شريط ملون بلون واحد أو شرائط متوازية مختلفة الألوان وانتشر استخدامها علي جانبي الدرج الداخلي للمنزل (شكل 9).

شكل(15) زخرفة التقطيع العمري

8.5. التقطيع العمري: يتآلف من مجموعة من الخطوط الرأسية المتوازية الممتدة من قاعدة الجدار، حيث تشكل قاعدة أو ركيزة للشرائط الزخرفية الأفقية. فتبدو في مظهرها كالأعمدة المستخدمه في ليوان المنزل (ساحة داخلية) (شكل13) وسرحة المسجد (صحن) في العمارة النجدية، كما يعلو زخرفة التقطيع العمري زخارف الختام، متضمنه في بعض من الأحيان مثلثات زخرفية تشبه في هيئتها المصابيح (العقود) المنتشرة في العمارة التراثية الإسلامية (شكل15).

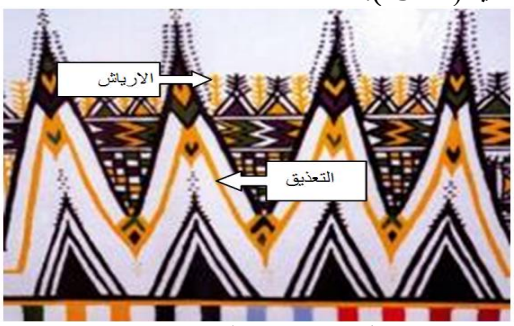

(شكل16) زخرفة البنات والارياش

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

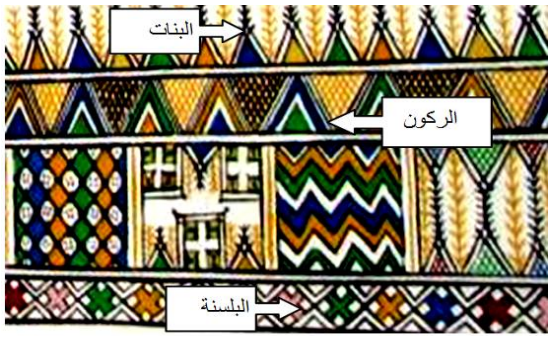

(شكل17) شكل توضيحي لمجموعة من الزخارف المتنوعة للحظية

8.6. البنات: وتسمي أيضاً "البَنَاهْ " (شكل 16،17) تكون علي هيئة مثلثات متتالية مختلفة الألون تقع أعلي الحظية تشبه قمم التلال والجبال، ويعلوها أشجار زات خطوط بسيطه مجردة. ويعتقد البعض انها ترمز إلي الأنوثه والخصب. لم يتقيد الفنان الشعبي بمكان زخرفة البنات التي غالبا ما تكون أعلي زخرفة الحظية، بال أخذ في تحويرها متخذاً من وحدة زخرفة التقطيع العمري كقاعدة تمتد منها نحو الأعلي، فهي أشبه إلي الشرافات المعمارية المسننه التي تقع أعلي الجدران المنتشرة في العمارة الإسلامية وبخاصه في العمارة التراثية في تلك المنطقه.

8.7. التعذيق: عبارة عن ثلاث نقاط تقع أعلي أطراف إزخرفة البنات(شكل16)، وهي أشبه الي الفرجه التي يحدثها المعماري لأدخال الضوء والتهوية في داخل المنزل.

8.8. الارياش: تتكون من مجموعة أشجار أو نخيل مجردة ذات أفرع قصيرة ومتساوية متجه نحو الأعلي، تتخلل زخرفة البنات بصورة تبادلية، مؤكدتا علي المعني الرمزي للخصب والنماء (شكل 16،17).

8.9. الركون: تتشكل تلك الزخرفة من مثلثات كبيرة متتالية (شكل17) تحتوي علي بعض من الوحدات الزخرفية المستخدمة في رسم وتزيين الجدار.

8.10. البلسنة: هي أحد العناصر الزخرفية التي تشكل قوام زخرفة الحظية والختام (شكل17)، وتكون علي هيئة نقاط أو دوائر داخل شكل معين.

8.11. الأمشاط: وهي خطوط رفيعه محدودة متوازية تتجه لأعلى أو إلى أسفل في نهاية الحظية،(شكل 18) تشبه زخرفة التقطيع العمري.

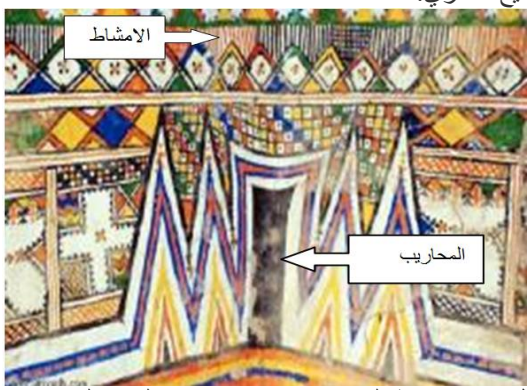

(شكل 18) زخرفة المحاريب في احد اركان الجدار لتوضيح مكان القبلة

8.12 المحاريب: برزت زخرفة محراب الصلاه الذي يقع في صدارة الزخارف، (شكل 15،18)، ملوناً باللون الأسود لون أستار الكعبة المشرفة، وتمتد زخرفة المحارب علي جانبيه علي هيئة مثلثات كبيرة متقابلة، ذات أضلاع متتالية دون قاعدة بحيث يتصاغر حجمها كلما توجهنا نحو الداخل، ويمكن تحليل الرؤية البصرية لتلك التكوين إلي تكرار عقود المسجد المتجهه نحو المحراب وتوالي قدوم المصلين لأداء الفروض، وهذا النوع من الزخارف قريب إلي النفس ويرمز إلي التعلق بطاعة الله. كما خيم أعلي تلك الزخرفة بستار ذا زخارف مميزة لزيادة توقير وتعظيم زخرفة المحراب.

(شكل19) زخرفة الحظية بأحد مجالس النساء

8.13. الحظية: تميزت المجالس الخاصة بالنساء بزخارف بسيطة تمثلت في شريط رفيع يمتد علي امتداد الجدار وكأنه إطار، غالبا ما ينتهي من أعلي بزخارف علي هيئة أمشاط أو زخارف نباتية.

من خلال توضيح بعض من أهم ألوحدات الزخرفية الأساسية المستخدمة في فن القط العسيري، نلاحظ أن تلك الوحدات الزخرفية ربطت بين الإستلهام من الطبيعة، وبين وحدات العناصر المعمارية المكملة، مثل زخرفة العمري التي تشبه أشكال الأعمدة، وزخرفة البنات التي تشبه الشرافات التي تعلو الجدران، وزخرفة الحظية التي تشبه إطارات فتحات النوافذ والأبواب والأقواس، وكأنه يحافظ علي هرمونية وإنسجام جميع العناصر المعمارية والزخرفية مع البيئة المحيطة. كما ظهرت بعض الزخارف وكأنها تخطيط معماري افقي (شكل 10،17،18) فبدي عليها روح المخطوطات العربية الإسلامية.

إمتدت زخارف فن القط علي ثلثي الجدار وربما أمتدت إلي نصفه حسب إرتفاع السقف ووجهة نظر الفنانه العسيرية، وبدي الجزء العلوي من الجدار والسقف هو إمتداد للصفاء السماوي التي تعني العلو والسمو والمجهول، في حين إمتدت زخارفها الإبداعية واجتمعت بين جنبات الخطوط المحددة بالألوان القاتمة غالباً، فنادراً ما نصادف الخطوط الحرة أو الغير محددة بلون اخر.

1. <u>فن القط والمجهول:</u>

غلبت علي معظم الزخارف التراثية القديمة عدم ذكر اسم القائم بزخرفة القط، لعله نوع من أنواع إنكار الذات، إلا أنه في السنوات الأخيرة عرفت بعض أسماء القطاطين نساءً ورجالاً بين أفراد القبيلة. من خلال الربط التحليلي الزمني بين فن القط وفن الحكايات التراثية التي كانت سائده ومهيمنه علي تلك المنطقة، ربما يرجع عدم تدوين اسم القطاط علي الجدران في المراحل الأولي من هذا الفن الزخرفي الجداري، هو تزامن فن القط العسيري مع فنون القصص والحكايات الخرافية والأساطير التي تنسب إلي فترات موغلة في القدم، فلا يمكن تحديد إلي أي عصر تنتسب نظراً لتناقلها عبر الزمن دون تدوين التاريخ مع مجهولية صاحبها. إن فن القط أخذ طبيعة السرد القصصي المنتشر في ذلك العصر، فبدت الوحدات الزخرفية مجردة تتحدث بلغتها المجهولة عن واقعها، منطلقتا من عقل وذهن الفنان الذي عبر عنها بريشته وألوانه وأدواته البسيطة، فكما كانت القصص والحكايات والأساطير تتحدث وتعبر عن نفسها مع إتباع التخفي والتعبير المنطلق الغير محدد دون إبراز أي معلومة أو إشارة إلي اشخاص معينة، فهي لا تحمل هدفاً سوي الرغبة في التعبير، ولكن في حقيقة الأمر بتخيلها وأسلوبها، وبالتعمق في مغزاها نجد أنه يكمن بها رؤية وتوجيه المجتمع إلي التعبير عن حاضره وبيئته و ما يتمناه. وكما أعتني بزخرفة وتلوين العناصر الداخلية، حظية واجهاته

الخارجية بالإهتمام لكن بقدر محدود محافظا علي التعاليم الإسلامية.

النتائج Results

تصدي قبيلة رجال ألمع للسيطرة العثمانية ساهم في الحفاظ علي أصالة وقدم الوحدات الزخرفية لفن النقش (القط)، بالرغم من إنه قد طرأت تغيرات ثقافية وافده أثرت بصورة ظاهرية طفيفة مثل استخدام الألوان والخامات الحديثة متماشياً مع العصر ومحافظا علي إستمرارية العمل الفني.

تأثر فن القط الزخرفي بالأسلوب البنائي التخطيطي لفن العمارة التقليدية، فكما قسمت العمارة الفراغات الداخلية بصورة فزيائية متوازنة تفصل بين خصوصية الرجال والنساء طغت عليها سمة الرحابة بالضيف من بداية البوابة والجدران الخارجية إلي ساحة استقبال الضيوف المزودة بالدرج المزين بأبهي الزخارف الملونة الممتدة داخل غرفة استقبال الضيوف، تحققت الوحدة بين عناصر الزخارف الجدارية مع وحدات زخارف الفرش وأثاث نظراً لتأثرها ببعضها البعض رغم الإختلافات البينية، فقد غلب علي زخارف نسيج السدو الألوان القاتمه، وعناصر زخارف الوسم والأشكال الطبيعية والحيوانية المجردة التي تميل إلي الكتابه النبطية، إلا أنها امتزجت بعناصر ووحدات العمارة التقليدية السائدة فهو فن مرتبط بالعمارة المتنقلة في هيئة خيام.

مناقشة Discussion

عملية تشييد وبناء العمارة التقليدية هي عملية تكاملية بين أفراد المجتمع من صناع وبنائين وغيرهم، كذلك الترابط البنائي والتداخل العمراني بين المنازل والتضاريس البيئية لتشكيل وحدة إجتماعية تحصينية، إنعكست بدورها علي وجدان الفنون التراثية الجدارية المرتبطه بها، لذا يعد فن زخرفة الجدار من الفنون التي تساهم في تعديل السلوك الحضاري وإعلاء روح الوحدة الإجتماعية والأرتقاء بالذوق العام من خلال مشاركة أفراد الأسرة الواحدة، أو أفراد من الجوار في بناء وتصميم التكوينات البصرية الجدارية المفعمه بالحيوية.

الخلاصة Conclusion

من خلال دراسة وتحليل بعض من عناصر العمارة التقليدية والتطرق إلي فن حياكة السدو اللذان كانا يتلازمان تواجدهما معا لسد الإحتياجات والمتطلبات المجتمعية بمنطقة عسير، إنعكست أثارهما علي أسلوب معالجة وحدات فن نقش الجدارن من خطوط ووحدات زخرفية وأسلوب تنسيقها، فقد أخذ عنهم سمات أساسية وجوهرية وهي: (الخطوط المستقيمة الرأسية والأفقية) المشكلة باساليب متنوعة والتي تتسم بسمة التصاعدية، فمعظم الأبنية التراثية يغلب عليها سمات القلاع والحصون مع تقسيم مستوياتها الداخلية الي طوابق وغرف والبعض منها يغلب عليها صفة الإمتدادية والتلاحم مع البيئة من أودية وسهول وارتفاع حاجز يحيط بها، كذلك في حياكة نسيج السدو تتلاقي اللحمه والسدي ويتشكل النسيج بصورة بنائية تصاعديه علي النول، فكان من الطبيعي ان يتأثر فن القط لأنه ينتمي لتلك المجتمع الذي يعتمد علي التكامل والتألف مع البيئة المحيطة.

ساهمت المرأه العسيريه في الحفاظ علي التوازن بين الماضي والحاضر من خلال نقوشها الجدارية التراثية التي تميزة بالمرونة المادية والإنسانية، حيث تجاوبت مع تطور العصر من احتياجات وتقنيات تكنولوجية، مع التمسك بالقيمة الإنسانية والحفاظ علي صدق الإنتماء للهوية القومية. مما أضاف إلي مفهوم تشكيل العمل الفني التراثي والرؤية الفنية المعاصرة.

المراجع References:

1. النعمي، هشام سعيد (1999 م)، "تاريخ عسير في الماضي والحاضر"، الطبعه 2، الرياض ألأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام علي تأسيس المملكة العربية.
2. الجاسر، حمد (1981م)، "معجم قبائل المملكة العربية السعودية" ، النادي الادبي في الرياض، المملكة العربية السعودية،الطبعة الأولي.
3. [1] شاكر، محمود (2000)، "التاريخ الإسلامي، العهد العثماني"، الجزء 8، المكتب الإسلامي، دمشق ،ص. 285 - 286
4. كورنوساليس، كيناهان (2007)، "عسير قبل الحرب العالمية الأولي"، عن : علي بن سعد آل زخيفة الشهراني (2009)، دار الكتب بوزارة الثقافة اليمنية، اليمن، الطبعة الأولي ، ص 42.
5. Shetty, Rajmohan. (1990) “The Impact of Kinship Systems on the Generation of House-Types”, TDSR 1. Roger Scrut
6. الراشد، سعد بن عبد العزيز، والزليعي،أحمد بن عمر وأخرون (2003 م)، "آثار منطقة عسير، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية"، وزارة المعارف وكالة الآثار والمتاحف، العدد رقم 6، الرياض، المملكة العربية السعودية ص 134.
7. الصحاري، خزامي (2011م)، "وادي عيا حصون وقصور ومقابر تدل علي حضارة عظيمة منذ القدم"، صحيفة الرياض، الرياض، العدد 15725.
8. كونل، أرنست (1966م)، "الفن الاسلامي"، ترجمه :أحمد موسي، دار صادر، بيروت، ص55.
9. علي، جواد (1971)، "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام"، دار العلم الملايين، بيروت، ط1،ج5،م، ص98، ص261.
10. الجوهرة، هاني محمد علي (2005)، "وحدة العناصر والأشكال في النقوش الجدارية بمنطقة عسير وعلاقتها باللباس"، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، المجلد 21، العدد 2، دمشق ، سوريا، ص
11. العمير،عبد الله بن إبراهيم (2007م)، العمارة التقليدية في نجد، دراسات آثارية (4)، جامعة الملك سعود، سلسلة علمية حكمة،تصدرها الجمعية السعودية، للدراسات الآثرية، الرياض، ص 148-149 .
12. Dominique, Clevenot, Splendors of Islam, Architecture, Decoration and Design, The Vendome Press, New York, 2000
13. Galea, Jr., The Traditional Architecture of The Asir Province, Saudi Arabia, Housing Science, V. 11, 3, 1987,
14. Mauger, T., Impressions of Arabia: Architecture and Frescoes of The Asir Region, Flammarion, New York, 1996
15. Peter G. Rowe, “Dual Aspects of Tradition in Saudi Arabia Urban Housing Development, in Setha M. Low and Erve Chambers (eds), Housing, Culture, and Design (University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 1989)
16. Ministry of Municipal and Rural Affairs, Atlas of Saudi Cities (Riyadh, 1987) (in Arabic) and Asir Province, Atlas of Asir Region (1985) (in Arabic).
17. Amos Rapoport, Human Aspects of Urban Form; Towards a Man-Environment Approach to Urban Form and Design (Pergamon Press, Oxford, 1977).
18. Eben Saleh, M. Al-Alkhalaf vernacular landscape: the planning and management of

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

land in an insular context, Asir Region, Southwestern Saudi Arabia. Landscape and Urban Planning 1996; 34(2):79–93.

19. Eben Saleh, Mohammed Abdullah, The decline vs the rise of architectural and urban forms in the vernacular villages of southwest Saudi Arabia, Building and Environment 36 (2001)
20. Abu-Ghazzeh Tawfiq M., The art of Architectural decoration in the traditional houses of Al-Alkhalaf Saudi Arabia.Journal of Architectural and Planning Research.Vol. 18, No. 2 (Summer, 2001), pp. 156-177 Published by: Locke Science Publishing company,Inc.
21. Abu Alkir , Nihal Abd-Elgawad &Kodeir, Eman Bahnassy. (2015). Traditional Saudi Folklore Motifs as an Approach to Enrich Tapestry & Upholstery Designs "Case Study of Tapestry & Upholstery of Touristic Resorts and Rest Houses in Taif City, KSA", Egypt, International Design Journal.